

الحساسية تجاه الأغذية

جينا كولاتا

صحيفة نيويورك تايمز

14 مايو 2010

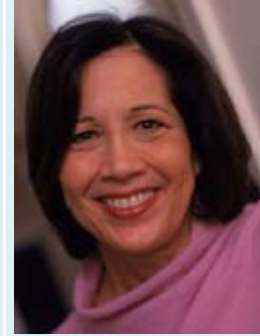
I Can't Eat That. I'm Allergic

By Gina Kolata

The New York Times Newspaper

ترجمة: علي الحارس (alharis.a@gmail.com)

- صحفية متخصصة بالشؤون العلمية في صحيفة (نيويورك تايمز).
- كاتبة في مجلة (سيانس) (سابقا).
- حائزة على جائزة (العلم المحكم) في الصحافة (1995).
- ألقت عددا من الكتب ذائعة الصيت في مجال الثقافة العلمية.
- إجازة في الأحياء الدقيقة. جامعة ماريلاند.
- ماجستير في الرياضيات التطبيقية. جامعة ماريلاند.



جينا كولاتا

عندما يصادف روبرت آرونوفيتز (Robert Aronowitz) أحد رفاق الدراسة يستعد لتلقي تحييتهم المعتادة: «مرحبا يا (سيال الأنف). كيف حالك؟». وهكذا يظل هذا اللقب على لسانهم ليترسخ في ذاكرته. يقول آرونوفيتز. وهو الآن أستاذ لتاريخ وعلم اجتماع العلوم في جامعة بنسلفانيا: «اعتدت على أن يهرع الناس بي من الشارع لأتلقى حقنة التحسس مرتين أسبوعيا.. كان ذلك بالنسبة لي مصدرا للفخر كأحدية التي يضعها المصابون بالكساح». ولكن هل كانت تلك الحقن مفيدة؟ وهل كان آرونوفيتز يعاني من التحسس أصلا؟ لا يملك إجابة لذلك. ولكن تلك التجربة ساعدته على فهم الميل في أيامنا هذه إلى تحميل الحساسية مسؤولية التسبب بأية حالة تعب أو سوء هضم أو طفح جلدي أو أية أعراض أخرى.

إن الحساسية تجاه الأغذية مشكلة صحية حقيقية وقد تشكل خطرا على الحياة. ومن التهور أن نتجاهلها حين تحدث. ولكن الكثير من الناس يعتقدون بأنهم مصابين بها دون أن يكون ذلك صحيحا. وذلك بحسب تقرير صدر حديثا عن المعهد الوطني للحساسية

الحساسية تجاه الأغذية

والأمراض المعدية؛ وفي هذه المعلومة صورة واضحة عما نعتقده حول الطعام الذي نتناوله.

إن الأطباء يشخصون وجود حالات تحسس غير موجودة. كما يفترض الناس إصابتهم بحساسية لا وجود لها إلا في أوهامهم؛ والكثير منهم يقع في فخ ما يدعوه الدكتور أرونوفيتز «حامل التشخيص». أي: الشخص الذي يسيطر على حياته تشخيص إصابته بحساسية تجاه نوع من الأغذية. فتراه قلقا عندما يتناول الطعام خارج المنزل، وتسيطر عليه مخاوف الموت إن هو تخلى عن مراقبة ما يدخل إلى جوفه: «فهي معتقدات كاملة حول الجسد والبيئة. وقد تتحول إلى ما يشبه العقيدة الثابتة».

يعود جانب من تركيز الناس على مسألة الحساسية إلى ما تحقق من سهولة كبيرة في إجراء اختبار الغلوبولين المناعي (IgE)، وهو يتحرى وجود جسم مضاد يترافق مع الحساسية، فما على طبيب الأسرة إلا أن يسحب بعض الدم من المريض ويرسله إلى التحليل للبت في وجود الحساسية كما يقول الدكتور جوشوا بويس (Joshua A. Boyce) الأستاذ المساعد في كلية الطب التابعة لجامعة هارفارد والذي يرئس هيئة بحثية قام بتأسيسها معهد الحساسية لوضع مبادئ لمنهجية التحري عن الحساسية تجاه الأغذية. ففي العادة، تأتي نتيجة التحليل المخبري إيجابية بوجود الغلوبولين المناعي (IgE)، ولكن هذا المكون قد يظهر أو يختفي دون تأثير، ولا يوجد تفسير لهذه الظاهرة حتى الآن؛ ولهذا فإن وجود (IgE) في الدم لا يعني بالضرورة إصابة المريض بالحساسية.

إن قضية الحساسية تجاه الأغذية أكبر من مجرد اختبار ذي نتائج مضطربة، وذلك بحسب ما توصل إليه باري غلاسner (Barry Glassner) أستاذ علم الاجتماع في جامعة جنوب كاليفورنيا (University of Southern California) ومؤلف كتاب (إنجيل الغذاء.. لماذا ينبغي أن نكف عن القلق ونستمتع بالطعام)؛ فهو يقول: «إننا نعطي للطعام قوى سحرية، فنعتقد بأننا لو تناولنا الطعام المناسب فسنعيش عمرا أطول، والعكس بالعكس. كما

الحساسية تجاه الأغذية

نعتقد بأننا نعرف ما هي الحساسية: فلو أصيب أحدنا بأحد الأعراض التي تذكره، أو تذكر طبيبه، باستجابة تحسسية فسيبدو من المنطقي والسليم حينها أن تعزى إلى طعام تناوله». ثم تكون الخطوة المقبلة تفادي تناول ذلك الطعام رغم أن ذلك ليس ضروريا.

لقد أصبحت كلمة «حساسية». كما يرى الدكتور غلاسنر، تترافق مع أية حالة سوء هضم لأحد الأغذية، ولكن (عدم تحمل) الغذاء قد يكتفي بإفلاق راحة المرء. أما الحساسية الحقيقية فقد تقتله. وعلى سبيل المثال، اكتشف الدكتور غلاسنر أن الحمص يتسبب له بسوء هضم معوي، ولكنه عندما يقول للآخرين بأنه لا يأكل الحمص، فإن استجاباتهم المباشرة تكون بالقول: «آه! هل لديك حساسية تجاه الحمص؟». وهنا يعرب عن رغبته بالإجابة بـ«نعم». لكنه يشعر بأنه ملزم بأن يقول «لا» ويشرح لهم بأنه لا يعاني من الحساسية تجاه الحمص، وذلك مع علمه بأنه عاجز عن تغيير وجهة نظر الناس عن الحساسية. وهو يرى بأن تفادي المرء لأغذية لا يعاني من الحساسية تجاهها لا يختلف كثيرا عن أخذ الحقن لمعالجة تحسس غير موجود. ومن يتفادي نوعا معينة من الأغذية ويشعر بالراحة جراء ذلك، فهو في العادة يعتقد تاليا بأن ذلك الغذاء هو من تسبب بأذيته أساسا؛ وهذه الظاهرة تذكر الدكتور آرونوفيتز بالطرفه التالية:

الأول: لماذا ترتدي الفيلة ملابس خضراء؟

الثاني: كي لا يلاحظها أحد عندما تلعب البليارد.

الأول: وهل سمعت عن أحد شاهد فيلا يلعب البليارد؟

الثاني: لا.

الأول: إذن، فلقد نجحت خطة الفيلة في الاختباء.